

# دراسة حالة في تطبيق مقاربات فنية ومجتمعية متكاملة في المجتمعات المهمشة: قصة مقارنة ألوان وأوتار

مارس ٢٠٢١

أميرة عبد العزيز

ساهم في الدراسة

الفريق الاستشاري لمسارات جماعية: علياء أحمد  
جمعية ألوان وأوتار: ياسمين الرفاعي، ولمياء سراج الدين،  
وإيناس خضيرة  
مؤسسة دروسوس: ماري رمسيس

ترجمة: أيمن الحسيني، مسارات جماعية

هدف دراسة الحالة هذه توثيق العوامل الرئيسية المساهمة في تشكيل ممارسة الجمعية، والتحديات الرئيسية التي واجهتها، والدروس المستفادة الرئيسية التي يمكن أن تنير الطريق أمام الجمعية نفسها وغيرها من المنظمات العاملة في نفس المجال. مهمة التقييم النهائي لمشروع «الشباب في العمل - YiA» من تمويل مؤسسة دروسوس وتنفيذ جمعية ألوان وأوتار.

## جدول المحتويات

٠٣	الفن من أجل التنمية
٠٣	ما الركائز الأساسية لمقاربة ألوان وأوتار؟
٠٥	ما العوامل المساعدة/ المساهمة الرئيسية في مقاربة ألوان وأوتار؟
٠٦	كيف تطورت مقاربة ألوان وأوتار عبر السنين؟ ولماذا؟
٠٧	ما التحديات الرئيسية التي واجهت مقاربة ألوان وأوتار؟ وكيف تغلبت عليها؟
٠٨	ما الدروس الرئيسية المستفادة من رحلة ألوان وأوتار والنصائح الرئيسية للمنظمات الأخرى؟
٠٩	أثر ألوان وأوتار... إنها أكثر من مجرد مساحة
١١	ما الجوانب المستقبلية التي ينبغي على ألوان وأوتار أخذها في الاعتبار؟



اختارت جمعية ألوان وأوتار مقارنة «**الفن من أجل التنمية**» منذ بدايتها عام ٢٠٠٣. وفقاً لياسمين الرفاعي، عضو دائرة القيادة بألوان وأوتار، «يعد الفن مدخلاً سهلاً للأطفال؛ فهو ممتع ويمنح مساحة للتعبير».

على مر السنين، تطور هذا الفهم من مقارنة «الفن من أجل التنمية»، حيث يستخدم الفن أداة لتنمية المجتمع إلى مقارنة أشمل تدمج مجموعة متنوعة من «التدخلات القائمة على المجتمع» والتي تقدم خدمة للأطفال والشباب والأمهات. لا تزال المقاربة المطورة حديثاً تضع الفن في المركز، ولكنها تستجيب أيضاً للاحتياجات المتنوعة لطوائف المجتمع الواسعة.

حازت ألوان وأوتار على ثقة المجتمعات التي تخدمها على مر السنين. تتطور مقاربتها نحو مزيد من التدخلات القائمة على المجتمع مع الحفاظ على التركيز على الفن.

## ما الركائز الأساسية لمقاربة ألوان وأوتار؟

من النظرة الأولى لمساحات ألوان وأوتار، يمكن للزائر أن يفترض أن الفنون واللعب والمرح هي الركائز الرئيسية لمقاربة ألوان وأوتار في التعامل مع الأطفال. لكن بإلقاء نظرة فاحصة على كيفية حدوث التفاعلات في المساحة، يمكن للزائر أن يشعر ببيئة سلسة ومريحة، مما يجعل الشخص يتساءل عن العوامل التي تسهم في هذا الشعور بالراحة.

### المساحة محورًا أساسيًا

عند التفكير في هذا الشعور بالراحة، تبدأ في إدراك أنه يبدأ من المساحة نفسها؛ إنها مساحة «بلا حواجز». يذكر «دليل المساحة» لألوان وأوتار صراحة أن المساحة يجب أن تكون جميلة المظهر، وتمكن المشاركين من التواصل والإبداع والتخيل، وفي النهاية، يجب أن تجعل الزوار يشعرون بالحرية.

ضُمَّت المساحة عمدًا لتكون متمركزة حول المتعلم، وليس حول الميسر، كما هو موضح في الدليل؛ «المشارك هو نقطة الانطلاق والهدف».

بالإضافة إلى ذلك، يؤكد الدليل على أهمية التكيف، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا مجرد دليل وليس كتاب قواعد. وبالتالي، يجب أن يكون لكل مساحة هويتها الخاصة التي تستجيب للمجتمع المخدم.



تعتبر المساحة 'الفرجة والداعمة' في المساحة المكانية مهمة بالنسبة لنا. إذ نرى في هذه المساحة «ملاذًا آمنًا ومُرحَّبًا» في مقابل البيئة الخارجية. ومع ذلك، فإنها في المجتمع، وليست خارجه بشكلٍ كامل. والأمان يشمل الجانبين الجسدي والنفسي. كما أن 'جمال' المساحة مهم أيضًا. وكذلك البيئة العامة (لا عنف، ولا صراخ، ولا إهانات، وهناك احترام تام للجميع...). ياسمين الرفاعي



## الفن بوصفه مقارنة ... إطار شامل للمهارات المتقاطعة

تعد الفنون أداة للتعبير عن المشاعر والخيال والتنمية الاجتماعية وبناء الثقة مع الآخرين والتنمية الأكاديمية؛ بل وتستخدم الفنون علاجًا للأطفال والشباب الذين مروا بصدمة عاطفية (روي، ك، ٢٠١٨). بالإضافة إلى ذلك، تؤثر الفنون إيجابيًا على ربط الناس وإثراء حياة المجتمع لزيادة الهوية الاجتماعية من خلال تعزيز الانتماء والتواصل بين أعضاء المجتمع والتأثير على الأطفال والشباب في المشاركة المدنية، مثل المستويات العالية من التطوع (سونج، ٢٠١٦).

لكي توفر ألوان وأوتار بيئة كهذه، طورت الجمعية دليلين رائعين بعنوان «النموذج التعليمي» و«الأطر التعليمية». في هذين الدليلين، تشرح ألوان وأوتار باستفاضة فلسفتها والنظريات المعتمدة ومواصفات البيئة التعليمية، ودور وخصائص ميسري المساحة.

تعتمد مقارنة ألوان وأوتار بشكل رئيسي على الفن والممارسات المتمركزة حول المتعلم أساسًا لفلسفتها ومنهجيتها المركزية في تصميم أنشطتها وبرامجها. على مر السنين، طورت ألوان وأوتار إطارًا شاملًا للمهارات المتقاطعة استنادًا إلى تجاربها الواقعية المتراكمة؛ والذي يتكون من أربعة أبعاد رئيسية: (١) تنمية الهوية (الهوية، الشخصية، كيف تصفني)، (٢) مهارات التفكير (التحليل، النقد، التفكير)، (٣) المهارات الاجتماعية (كيفية التعامل مع الناس والتغيرات)، (٤) التعلم الموجه ذاتيًا (كيفية تحديد المهارات الشخصية، كيفية التركيز وكيفية قبول الفشل طريقًا نحو النجاح). لضمان أن أي نشاط مُصمَّم متماشى مع هذا الإطار، ينبغي أن يمر كل نشاط بالمراحل التالية: (١) مطابقة المنهج التعليمي مع الفلسفة والإطار، (٢) تقييم النشاط/ البرنامج باستخدام الإطار، (٣) جمع الملاحظات وتعديل النشاط/ البرنامج وفقًا لذلك.



عند تطبيق الفنون، تركز مقاربتنا على العملية وليس النتائج. ياسمين الرفاعي



### اللعب بوصفه مقارنة ... نحو تنمية المهارات

يعتبر اللعب في الغالب بأشكاله المختلفة (مثل اللعب الجسدي، واللعب بالأشياء، واللعب الرمزي، والألعاب ذات القواعد، واللعب التخيلي) نشاطًا ترفيهيًا بالنسبة للبالغين وليس نشاطًا تعليميًا أساسيًا للأطفال في مدارسهم ومنازلهم. وترتبط أهمية اللعب عادةً بالطفولة المبكرة ويتم تجاهل المراحل العمرية الأخرى للأطفال. ومع ذلك، تُبَيِّن أن اللعب يعزز نمو الأطفال في جوانب مختلفة، مثل المهارات الاجتماعية والعاطفية والإدراكية والحركية واللغوية (داود أ. ج. واثومسن ب. س).

في ألوان وأوتار، تعتبر منهجيات التعلم التفاعلية والممتعة مركزية في جميع الأنشطة التعليمية المنفذة، سواء مع الأطفال أو الشباب أو حتى الأمهات.



في برنامج الأطفال، أصبح المستفيدون أكثر تعاونًا، لقد صاروا مسؤولين عن التنظيف بعد أنشطتهم، وساعدوا المعلمين في تنظيم المعارض. بدأ الأطفال يكتسبون المزيد من الثقة، وتغيرت أفكارهم. شاهد الآباء التغيير الذي حدث للأطفال، وكانوا ممتنين لهذه التجربة. وجهة نظر من أحد أعضاء الفريق الاستشاري



على سبيل المثال، كان هناك صبي معين يعاني من مشاكل في التحدث، ثم في العرض النهائي، كان الأفضل في الأداء المسرحي، في البداية كان خجولًا في التعامل مع الأطفال ومع ذلك كانت لديه الثقة. أحد أعضاء فريق ألوان وأوتار





## خبرة تراكمية أدت إلى قدرات تكيف قوية

تمتلك ألوان وأوتار أكثر من ١٥ عامًا من الخبرة في استخدام «الفنون من أجل التنمية»، خاصة في المجتمعات المهمشة. نتج عن هذه الخبرة التراكمية قدرات تكيف استثنائية في شكل التصميم والتنفيذ بناءً على احتياجات المشارك والمنظمة والمجتمع الذي تعمل معه. بالإضافة إلى ذلك، يستطيع أعضاء فريق ألوان وأوتار طرح قضايا حقيقية يمكن للمشاركين إدراكها والتعلم منها وتنفيذها.

ذكرت جمعيتنا أنا مصري ونهضة المنصورية<sup>٢</sup> أن «أعضاء فريق ألوان وأوتار تمكنوا من طرح الأسئلة الصحيحة وتقديم أمثلة ذات مغزى يمكن لموظفينا أن يشعروا بارتباط معها. بالإضافة إلى ذلك، تمكن أعضاء فريق ألوان وأوتار من تبسيط المفاهيم المعقدة وتوصيلها على هيئة مواقف من الحياة اليومية التي يمكن لموظفينا أن يختبروها مع الأطفال أو أمهاتهم، الأمر الذي سمح بمناقشة ما ينبغي فعله في مثل هذه المواقف تحديداً».

## ما العوامل المساعدة/ المساهمة الرئيسية في مقارنة ألوان وأوتار؟

الأمر الثاني الذي سيشعر به الزائر لمساحة ألوان وأوتار هو أنه كما لو كانت هناك «سيمفونية» تُعزَف، على الرغم من أنك لا تستطيع سماعها ولكن من الواضح أنك تشعر بها، ويتجلى ذلك في كيفية تعامل أعضاء الفريق مع بعضهم البعض ومع أفراد المجتمع، سواء كانوا أطفالاً أو شباباً أو أمهات.

يتوافق هذا الشعور بالانسجام مع إحدى النتائج الرئيسية لعملية تقييم مشروع «الشباب في العمل - YiA» التي استنتجت أن أعضاء فريق ألوان وأوتار هم الأصول الحقيقية للجمعية والعامل المساعد الرئيسي لوجود مقارنة متميزة.

ويعود ذلك إلى القيم المشتركة بين أعضاء فريق ألوان وأوتار والتي تتجلى في سلوكياتهم وقراراتهم.

الاحترام هو أحد القيم الرئيسية التي توجه كيفية تعامل ألوان وأوتار مع الأطفال والشباب وأفراد المجتمع. وعلى وجه التحديد، تبذل ألوان وأوتار جهوداً مدروسة في إشراك جميع المستفيدين في تصميم وتنفيذ برامجها. والأهم من ذلك، أن أسلوب أعضاء فريق ألوان وأوتار أثناء إجراء ورش عمل/ اجتماعات التصميم التشاركي هذه يُظهر اهتماماً حقيقياً بالاستماع إلى احتياجات وتفضيلات ورغبات المستفيدين واتخاذ القرارات بناءً على اهتماماتهم ومصالحهم المتطورة. وتعتبر المحادثات غير الرسمية أيضاً طريقة مهمة لاستشعار التغييرات المطلوبة في تصميم البرنامج أو تنفيذه، إلى جانب المشاركة الفعالة للمستفيدين في التنفيذ.

نتج عن ذلك أن الشباب والأمهات ذكروا في مناسبات مختلفة خلال عملية تقييم مشروع «شباب في العمل - YiA» ما يلي: «أشعر بالاحترام والتقدير في ألوان وأوتار، وبأن صوتي مسموعاً».

يتجلى الأمان بطرق مختلفة في ألوان وأوتار، بداية من فعل سهل وبسيط: «التحدث بهدوء». هذا الفعل البسيط له أثر كبير على الأطفال الذين لا يعيشون عادة في مساحات، أي المدارس والعائلات، يحظون فيها بمستويات معقولة من التسامح.

شارك أحد الشباب قصة يقول فيها: «في المرة الأولى التي جئت فيها إلى ألوان وأوتار عندما كنت طفلاً، كسرت لعبة، وتوقعت أنهم سيأتون ويصرخون في وجهي ويحرمونني من المجيء مرة أخرى. لقد فوجئت بالسيدة المسئولة جاءت لي وتحدثت إلي بلطف شديد، وطلبت مني محاولة الانتباه للأمر المرة القادمة. كنت في حيرة من أمري؛ لم يعاملني أحد بهذه الطريقة من قبل. بعد هذا الحادث، والكثير من الحوادث الأخرى، أصبحت ألوان وأوتار ملاذني الآمن حقاً، حيث أعلم أنني سأجد هنا أشخاصاً يحترمونني حقاً ويسمحون لي أن أكون على طبيعتي».

يجتمع الأمان والاحترام معاً في بعض السلوكيات البسيطة لألوان وأوتار. إذ يحرص الفريق على «التواصل البصري» مع من يتحدثون إليه، بغض النظر عن عمره. وهم حريصون على «طرح الأسئلة وتقديم الخيارات» كلما أمكن ذلك، بدءاً من تحديد الوقت المناسب لتنفيذ ورشة عمل أو الاختيار من بين ألوان مختلفة متاحة.

تقول ياسمين الرفاعي: «نركز على العلاقة التربوية؛ اللطف والثقة والأصالة وتقديم نموذج يُحتذى، ويعتمد الأمان

(٢) جمعيتان حصلتا على خدمة استشارية من ألوان وأوتار. شملت الخدمات: تصميم الفناهج الدراسية، وإدارة المساحات، وتنمية قدرات موظفيها.

النفسي على هذه العلاقة بين الكبار والأطفال. نستمتع ونستجيب وننظر في العيون ونتحدث بهدوء، حتى لو كان بحزم أحياناً، ونمنح خيارات ونطرح أسئلة ولا نعد بأشياء لا ننوي فعلها. نحن نحاول أن نفعل ونكون ما ندعو إليه.»

التأمل والتجريب والتعلم. ساهمت الخبرة التراكمية لألوان وأوتار في وجود إيمان راسخ داخل الجمعية ومشارك عبر جميع المستويات: أهمية التأمل والتجريب وفي النهاية التعلم. خلال عملية التقييم وتوثيق ورصد الدروس الرئيسية المستفادة من مشروع «شباب في العمل - YiA»، أظهر جميع أعضاء الفريق عبر كافة المستويات وفي مختلف المساحات قدرات تأمل استثنائية. وكانت الملاحظة الملفتة هي قدرة أعضاء الفريق على مساءلة ممارستهم الحالية وتبادل التعليقات والاقتراحات بصراحة وسلاسة دون تردد، مما يشير إلى أن هذه ممارسة شائعة داخل الجمعية يعتاد عليها أعضاء الفريق ويقدرونها ويؤمنون بها.

تقول ياسمين الرفاعي: «إنها مساحة تعلم للجميع. نحن نؤمن أن التعلم هو فعل طبيعي نحتاج جميعاً إلى تجربته يومياً، لذا نثق في الناس لتجربة واختبار أشياء جديدة، سواء كانوا أطفالاً أو شباباً أو جزءاً من الفريق». وتضيف: «التكيف أمر هام بالنسبة للجمعية والأشخاص. فهو يضمن أننا نتطور باستمرار ونتكيف مع احتياجات المجتمع والاتجاهات الجديدة والعوامل الأخرى التي تساعدنا على النمو بمرونة.»

### كيف تطورت مقارنة ألوان وأوتار عبر السنين؟ ولماذا؟

تطورت مقارنة ألوان وأوتار عبر السنين بناءً على الخبرات المتراكمة التي جعلت الفريق يدرك ما يساهم في مقاربتهم وما يحتاجه المجتمع بخلاف الفن. وفقاً لياسمين الرفاعي، هذه هي التطورات الرئيسية التي شهدتها مقارنة ألوان وأوتار:

تعد المساحة عاملاً مساهماً رئيسياً في مقارنة ألوان وأوتار: «منذ أن بدأنا، كان من الواضح أن استخدام الفنون والتعلم التفاعلي هو مقاربتنا الرئيسية، كانت هناك عوامل أخرى لكننا لم نسميها. ونحن الآن ندرك أهمية المساحة والتأثير الشامل للبيئة، لذلك نسميها بوضوح.»

تعد إمكانية الوصول إلى المساحة أولوية بالنسبة لألوان وأوتار: «إن الإدراك الجديد لأهمية وجود مساحة يمكن الوصول إليها جعلنا نغير بدرجة ما من طريقة نظرنا إلى أولوياتنا؛ فعلى سبيل المثال، إذا كان علينا الاختيار بين وجود برنامج فني أو الإبقاء على إمكانية الوصول إلى المساحة، فسوف نختار المساحة.»

مجموعة متنوعة من البرامج والخدمات، وليس فقط الفنون: «جاء التطور من الفنون إلى البرامج الأكثر تنوعاً استجابة إلى ما أعرب عنه المستفيدون في صورة اهتمامات واحتياجات مختلفة؛ أي التعلم والكتابة والدعم النفسي.»

**التركيز على المجتمع:** «هناك تقدم بطيء في هذا الجانب، عملنا مع الأطفال في ٢٠٠٦، ومع الأمهات في ٢٠١١، ومع الشباب في ٢٠١٣. الآن مع وجود هذه المجموعات المستهدفة الثلاث المختلفة، أصبح لدينا إدراك بأهمية العمل مع مجموعات مختلفة داخل المجتمع.»

**من التصميم التشاركي إلى القيادة التشاركية:** «لقد تبيننا المقاربة التشاركية منذ اليوم الأول، وقد تطورت مع الشباب لأنه مع تقدمهم في العمر، يمكنهم فعل المزيد. لذا فقد وصلنا إلى مستوى جديد من العمق، وصرنا نتحدث عن القيادة التشاركية.»

علاوة على ذلك، كان توسع ألوان وأوتار في عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧، والذي أدى إلى وجود ثلاث مساحات مختلفة، عاملاً رئيسياً للبدء في تخصيص موارد لتوثيق وتعميم مقارنة ألوان وأوتار، وجعل ذلك أولوية.

**التوثيق والتعميم:** «كان الفريق بأكمله يعمل في البداية في نفس الموقع، فكان من السهل ضمان التوافق والتآزر. بعد ذلك ونظرًا إلى وجود الفريق في ثلاثة مواقع مختلفة، ظهرت الحاجة إلى تطوير أدوات وعمليات لتمكين الفرق الأصغر من تنظيم نفسها بما يتماشى مع منهجية ألوان وأوتار. وبذلت المزيد من الجهود لتأمين آلية متسقة لتداول المعلومات بين الدوائر المختلفة، والاستفادة من الخبرات المتنوعة داخل مختلف الفرق وأو المجتمعات» - لمياء سراج الدين، عضو دائرة القيادة بألوان وأوتار.





**أصبحت مشاركة المعرفة أولوية:** «أصبحنا مدركين لأهمية توثيق تجربتنا والتفكير فيها بشكل أكبر لمشاركتها مع الأطراف المعنية» - إيناس خضيرة، عضو دائرة القيادة بألوان وأوتار.

**الاستدامة معيارًا لاتخاذ القرار:** «لقد أضفنا الاستدامة معيارًا عند اتخاذ القرارات، بما في ذلك اتخاذ قرار الاستثمار في برامج الممارسين التربويين (داخليًا وخارجيًا)» - إيناس خضيرة.

بناءً على رؤى أعضاء فريق ألوان وأوتار، حفزت عدة عوامل تطور مقاربتهم؛ أي التحديات التي واجهوها، والأبحاث التي تعين عليهم إجراؤها لتطوير ممارساتهم، والتعرف على مفاهيم وممارسات جديدة، وخبراتهم وتعلمهم المتراكم، واستعدادهم لتجربة أساليب جديدة، والدافع لإحداث أثر أفضل. على سبيل المثال، الإضافة الجديدة لمكون المهمات والذي استجاب للفهم الذي وصل إليه الفريق حديثًا بأن ألوان وأوتار بحاجة إلى تدخلات مباشرة مع المهمات إذا أرادت تحقيق تأثير أفضل وأكثر استدامة على الأطفال.

مثال آخر هو الإضافة الأخرى لبرنامج الشباب، والذي بدأته ألوان وأوتار بشكل بسيط في عام ٢٠١٣ استجابة لشرائح عمرية جديدة لم تخدمها من قبل؛ وهم مستفيدو الجمعية الذين بدأوا في النمو وبدأت احتياجاتهم تختلف. ثم تشكل البرنامج على نحو أفضل بمرور السنين وبدأ في العمل على جبهات مختلفة لم تكن محور اهتمام ألوان وأوتار المعتاد؛ مثل مهارات التوظيف.

مثال ثالث يعكس كيفية تعامل ألوان وأوتار مع موقف صعب وأصبح بعد ذلك إحدى خدماتها الأساسية؛ عندما تعين على ألوان وأوتار تبني أسلوب جديد بوجود مساحة حرة وسيلة لزيادة الوصول إلى التعلم مع تقليل الحاجة لوجود عاملين من أجل خفض التكاليف؛ وقد ثبت أنها وسيلة فعالة للتفاعل مع المجتمع وأسفرت عن خدمة جديدة وهي وجود «المساحة الحرة».

### ما التحديات الرئيسية التي واجهت مقارنة ألوان وأوتار؟ وكيف تغلبت عليها؟

تعتبر تحديات ألوان وأوتار في بعض الأحيان الجانب الآخر من نقاط قوتها، أي أنها الجانب الآخر من العملة.

التجريب أمر بالغ الأهمية عند العمل بين مجتمعات صعبة. ويجب دمج مع الثقة والتغييرات سريعة الخطى؛ تستلزم وظيفة ألوان وأوتار في المواقف الصعبة التساؤل المستمر عما يصلح وما لا يصلح. تعاني المجتمعات التي تعمل فيها الجمعية من ظروف صعبة للغاية؛ مثل الافتقار إلى الخدمات الأساسية، وعدم القدرة على الوصول إلى المساحات المفتوحة، ومستويات مرتفعة من العنف في المدارس وداخل الأسر، وأحياناً عدم الشعور بالأمان في الشوارع. بالتالي، يعد التجريب مقارنة متكاملة لاختبار إذا كان ما تقدمه الجمعية للمجتمع يلبي احتياجاته. وبذلك، يتطلب هذا الأمر ثقة في الناس على الأرض عندما يشيرون إلى أمور معينة لا تجدي نفعا أو يسلطون الضوء على تدخل محدد مناسب وبجاجة للتوسع فيه.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن تستجيب التدخلات بسرعة للاحتياجات الناشئة للمجتمع، وإلا قد يفقد التدخل بأكمله جوهرة إذا تأخر. وقبل كل شيء، تحتاج الجمعية إلى تخصيص الموارد اللازمة والتعامل مع التجريب باعتباره أولوية.



إن الوقت والطاقة اللازمين للمحاولة والإخفاق والتقييم والمناقشة والتعديل والتكرار هائلان عند التنفيذ على أرض الواقع، لذا عادة ما يحدث ذلك على حساب العاملين المتقنين بالعمل بالفعل.

لمياء سراج الدين



من الضروري أيضًا أن تكون التوقعات واقعية تجاه عملية التجريب؛ فجزءًا منها هو عدم معرفة كيفية قيامك بالأمر بالضبط وتفاعل مع أفكار جديدة سوف تختبرها؛ لذا، يجب عليك إدارة توقعات أعضاء المجتمع وبشكل خاص أعضاء الفريق، خاصة أولئك الذين لا يشعرون بالارتياح في ظل عدم اليقين.

”

لم تكن هناك دائماً خطوط عريضة واضحة للطريقة التي نجرب بها (ما وكم متغير نتعامل معه في وقت واحد، وإلى متى، وما المعايير والطريقة المتبعة للتقييم... إلخ) مما أضع بعض الوقت والطاقة وسبب الكثير من الاضطرابات التي كان بالإمكان تجنبها. لمياء سراج الدين

“

تكلفة المشاركة؛ إن قيادة ألوان وأوتار حريصة على استمرار المشاركة، وهو ما يتطلب محافظة عالية؛ من حيث الجهود المبذولة للسماح لجميع أصحاب المصلحة المعنيين في الجمعية، بالإضافة إلى الجهود المطلوبة لتحقيق التوافق، خاصة في القرارات الاستراتيجية، والتي تؤثر أحياناً سلبيًا على وتيرة العمل.

”

نظرًا لأننا نستخدم النهج التشاركي، كانت العملية في كثير من الأحيان مزعجة وتستغرق وقتًا طويلًا. إيناس خضيرة

“

الجهود المستمرة المطلوبة لتحقيق التوافق؛ استنادًا إلى ممارسة ألوان وأوتار، هناك مستويان من التوافق؛ التوافق الذي تقوم به فيما يتعلق بقرار معين، وفي الواقع، المناقشات المهمة المتبادلة لإيجابيات وسلبيات كل قرار حتى يُتخذ القرار أو يُحدد الاتجاه في النهاية. ثم المستوى الآخر من التوافق من الناحية العملية وأثار هذا القرار على أرض الواقع وكيف يفسر كل شخص هذا القرار. على سبيل المثال،

”

كان الانتقال إلى مقاربة 'المساحة الحرة' (الموجهة ذاتيًا) متوترًا للغاية، حيث كان لدى الفرق المختلفة فهمًا مختلفًا لما هي المساحة الحرة وما يمكن أن تكون عليه. هل هي برنامج أم مقاربة أم نشاط؟ عندما أدركنا الارتباك، بدأنا في وضع معايير لتحديد كل منها، ثم أصبح الأمر معقدًا ومحبطًا للأشخاص على الأرض الذين يرغبون في العمل... الكلمات مهمة لتحقيق التوافق. ياسمين الرفاعي

“

الإدراكات الجديدة تحتاج إلى وقت لكي تترسخ؛ استنادًا إلى تجربة ألوان وأوتار، كان الفن والأطفال هما التركيز الرئيسي لمقاربة ألوان وأوتار، ولكن بعد سنوات من الممارسة، أصبح هناك إدراك جديد أن الفن هو مجرد مدخل ولا يجب أن يكون التركيز الكامل. الأطفال هم أيضًا المجموعة المستهدفة الأساسية، إلا أن ألوان وأوتار تحتاج إلى التعامل مع بقية أعضاء المجتمع؛ أي الشباب والأمهات.

”

أحيانًا ما ندرك مقاربتنا بعد الممارسة، مثل الإدراك المفاجئ أننا نعمل من خلال 'المساحة' ومن أجل 'المجتمع'، بدلاً من العمل من خلال 'الفن' ومن أجل 'الأطفال'. ليس من السهل التخلي عن الهوية السابقة. ياسمين الرفاعي

“

## ما الدروس الرئيسية المستفادة من رحلة ألوان وأوتار والنصائح الرئيسية للمنظمات الأخرى؟

شارك فريق ألوان وأوتار ١٠ دروس رئيسية مستفادة من رحلتهم؛  
التجريب هو مفتاح التطور وتعلم ما ينفع، ومع ذلك فإن الكثير جدًا من التجارب يمكن أن تضر أكثر مما تنفع.







**التغيير والهدف:** ليس هناك طريق سهل للتغيير، ومع ذلك، فوجود اتجاه واضح واستثمار الوقت اللازم لانضمام أعضاء الفريق وتعرفهم على الهدف يستحق كل دقيقة ويوفر الكثير من الوقت والجهد خلال الرحلة.

**ال فشل والقرارات الصعبة:** كانت أهم لحظات الولادة الجديدة والفرص الحقيقية للتطور، عندما يثق الفريق ببعضه البعض ويأخذ الوقت الكافي للتحليل والتعلم.

**الصبر والاحتفال:** تستغرق الأمور الجديدة وقتًا حتى تعمل جيدًا، وكذلك يحتاج الفريق وقتًا ليتوافق، وتحتاج وقتًا أيضًا ليصبح الابتكار متجذرًا وممارسة يومية. لذا تحلى بالصبر واحتفل بالتقدم على طول الطريق.

**التأطير والتسمية:** انظر إلى ما تقوم به بالفعل واعطه اسمًا. تأكد من أن الكلمات تعني نفس الشيء بالنسبة للجميع.

**دورات التجريب:** طور مقاربتك من خلال دورات من العمل والتجربة ثم التقييم. وتأكد من استخدام مساهمات جميع المشاركين.

**الاتصال ونقل المعرفة:** تأكد من إنشاء نظام واضح ومتكامل للاتصال ونقل المعرفة بين مختلف المواقع/ الأقسام التي تجري فيها التجارب، وذلك طوال فترة التجريب.

**التوافق والمشاركة:** تأكد من توافق ممارساتك ومقارباتك مع الأطفال/ المستفيدين من ناحية، مع ممارساتك ومقارباتك كفريق. تأكد من إشراك أكبر عدد ممكن من الأشخاص، حتى لو لم يساهموا جميعًا على نفس المستوى.

**التحقق من الواقع:** تأكد دائمًا أنك لا تتحدث عن نظريات بعيدة عما يحدث على أرض الواقع.

**القيم المشتركة:** لا يمكنك فعل أي من ذلك إذا لم يكن لديك قيم قوية تؤمن بها حقًا.

### أثر ألوان وأوتار... إنها أكثر من مجرد مساحة

توفر ألوان وأوتار مساحة يحظى فيها الأطفال بالاحترام، حيث يمكنهم التعبير عن مشاعرهم وتعلم شيء جديد باستمرار. قد ينظر بعض الناس للفن واللعب على أنهما ترف وليس ضرورة. ومع ذلك، تشير الأبحاث إلى أن الفن واللعب يعتبران من الاحتياجات الأساسية للأطفال، حيث تنمي المشاركة في الأنشطة الفنية المهارات والمعارف (Cho, C. & Vitale, J), (٢٠١٩).



تساعد ألوان وأوتار كثيرًا في تغيير سلوكيات الأطفال بشكل إيجابي واكتساب مهارات مثل التعاون والأخلاق. كما أنها بيئة آمنة للأطفال للعب والتعلم دون عنف. يحب الأطفال البيئة ويظهرون فضولًا للتعلم عندما يكونون في ألوان وأوتار. ويتم تشجيعهم على تعلم دروسهم من المدرسة ليكافؤًا بالذهاب إلى ألوان وأوتار. كما تساعد على إدارة وقتهم. أحد أفراد المجتمع



نظرًا لأن الفن في ألوان وأوتار هو المساحة الوحيدة المتوفرة للأطفال للتعبير عن مشاعرهم، فهو يساعد الكثير منهم على الشعور بالحرية. توفر ألوان وأوتار بيئة آمنة للأطفال؛ فهي تلعب دور الأسرة البديلة. أحد الأخصائيين النفسيين



بالتفكير في منهجية ألوان وأوتار، من الواضح أنها تمنح قيمة كبيرة للممارسات المتمركزة حول المتعلم. وتبدو فلسفة الجمعية جلية في إيمانها بأن تنمية المجتمع تبدأ بتنمية الأفراد، مع التركيز خاصة على الفنون.

نتيجة لمقاربة ألوان وأوتار، يسلط تقرير تقييم نتائج مشروع «الشباب في العمل - YiA» الضوء على أن توفير مساحة للأطفال للعب والتعلم وممارسة أنشطة فنية مختلفة يعزز التعبير العاطفي لديهم، والتفاعل الاجتماعي،

والمسؤولية تجاه أنفسهم ومنازلهم ومجتمعاتهم. كما توفر مساحات ألوان وأوتار لهم فرصة لتفريغ طاقتهم وتدعمهم في تقدمهم الأكاديمي.

ومن الملاحظ أن معظم الأطفال لديهم قدرات ملحوظة في التعبير عن أحلامهم بطريقة قد لا تكون متوقعة في ظل أشكال التهميش العديدة التي يتعرضون لها.

”

أحب الرسم، وأفضي معظم وقتي أفعل ذلك. أحلم بأن يكون لي معرض خاص بي، وربما في يوم من الأيام سيكون لي متحف. أحد الأطفال

“

أما بالنسبة للشباب، فقد شعروا بأنهم يقفون على أرضية صلبة. إذ كان لديهم فرصة للتفكير في مستقبلهم والتخطيط له، وفي الوقت نفسه يُمكنون بعضهم البعض. أيضًا، من خلال برنامج الشباب، قاموا بممارسة التمكين الذاتي، حيث استطاعوا التفاعل مع مجتمعاتهم وإطلاق مبادرات وفقًا لقدراتهم واهتماماتهم.

”

... لقد اعتدنا المشاركة في الفنون والكتابة والرقص المعاصر لتتعلم كيف نعبر عن أنفسنا. كما استخدمنا المسرح في تعلم القيم، وكان لدينا ميسر يعلمنا كيفية إدارة الأموال، وتعلمنا مصطلحات مالية لفهم كيفية التعامل مع المشاريع. في المخيم، تعلمنا المزيد عن «العمل اللائق». أحد الشباب

“

”

... كنت متدرِّبًا لثلاثة أشهر في برنامج الشباب، حيث اعتدت العمل مع الأطفال. ثم حصلت على منحة قدرها ٦٠٠٠ جنيه مصري للتقدم بمشروع، واستخدمت المال للانضمام إلى مدرسة مسرح. بعد ذلك انضمت إلى مدرسة ألوان مرجان للميسرين العاملين مع الأطفال، وتدريب الاتصال غير العنفي، والاستشارة النفسية. أحد الشباب

“

تعاني المجتمعات التي تتعامل معها ألوان وأوتار من أشكال متعددة من التهميش؛ الفقر، وعدم الوصول إلى خدمات اجتماعية ذات جودة، وفي بعض الحالات، سوء المعاملة. وبالتالي، تعمل مساحات ألوان وأوتار في عدة مناسبات بديلاً للمساحة الآمنة التي ينبغي أن توفرها الأسر، وبدلاً عن المساحة الممكنة والمحفزة التي يجب أن توفرها المدارس، وبدلاً عن المساحة الحرة والمفتوحة التي يجب أن توفرها الحكومة.

”

في ألوان وأوتار، أشعر بالأمان والاحترام والتقدير. أحد الشباب

“

”

تمنح ألوان وأوتار الفتاة (حالة تعرضت لإساءة) الثقة في الناس (ليس الجميع ولكن بعضهم)؛ ومع ذلك، يسيء لها أقرب الناس إليها. إن وجود أشخاص مستعدين للمساعدة يؤثر إيجابيًا، ولكنني لا أستطيع قياس ذلك، لا أستطيع قياس كيف سيساعدها هذا على رؤية العالم بشكل إيجابي عندما تصبح بالغة، في حين أنها تواجه الآن جميع أشكال العنف المنزلي، ولكن ربما عندما تصبح بالغة تتذكر أن هناك أشخاصًا أحبوا ودعموها، ولكنني لا أعرف كيف أقيس ذلك.

“

أحد الأخصائيين النفسيين





في برنامج الأمهات «قعدة ستات»، تتعلم السيدات مهارات شخصية وفنية، بالإضافة إلى الدعم النفسي الفردي والجماعي والرحلات. تنوعت المواضيع والمهارات، مثل الإكسسوارات والرسم على أسطح مختلفة وإعادة تدوير القماش والطهي والكروشييه وإدارة الوقت والدراما النفسية (سايكودراما) والتعامل مع مشاكل المراهقين.

وقد حظي استخدام مقارنة الفن مع الأمهات بتقدير كبير حيث زاد لديهن الوعي بالذات وانعكس ذلك في تعزيز قدرتهن على التعامل مع أطفالهن، مثل تراجع العنف.



لقد استمتعت حقًا بتدريب الدراما النفسية؛ عرفت أشياء جديدة عن نفسي لم أكن أعرفها من قبل. أفهم الآن أن الكثير من الصراخ في وجه أطفالي كان بسبب عدم استطاعتي التحكم في نفسي. أما الآن فقد صرت أفضل في التحكم بغضبي وأحاول منح نفسي بعض المساحة حتى لا ينفجر غضبي في أطفالي. إحدى الأمهات



مصطلح «مدينة صديقة للطفل» هو مصطلح أطلقته منظمة يونيسف لوصف المجتمعات أو النظم الملتزمة بتحسين حياة الأطفال، حيث تكون أصواتهم واحتياجاتهم وأولوياتهم وحقوقهم جزءًا لا يتجزأ من السياسات والبرامج والقرارات.

لذلك، عند التفكير في ما تقدمه وتضمنه ألوان وأوتار في جميع سياساتها وبرامجها وأنشطتها، يمكننا القول أن الجمعية قد وفرت العناصر المختلفة المحددة في إطار المدينة الصديقة للطفل.

تُطبَّق مفاهيم المدينة الصديقة للطفل في ألوان وأوتار، حيث أن سياساتها وممارساتها (١) تعزز حماية الطفل، و(٢) شاملة وتشاركية، و(٣) تسمح للأطفال بالتعبير عن آرائهم والتأثير في القرارات التي تؤثر عليهم، و(٤) تضمن العيش في بيئة آمنة ونظيفة، و(٥) تتيح لهم أماكن للعب والاستمتاع، و(٦) تتيح لهم لقاء أصدقاءهم الحاليين وتكوين صداقات جديدة (شبكة اجتماعية)، و(٧) تمنحهم فرصة تجربة ما يعنيه تلقي خدمة جيدة، و(٨) توفر إمكانية الوصول إلى خدمات اجتماعية جيدة والحصول على فرصة عادلة بغض النظر عن عرقهم أو منشأهم أو دينهم أو دخلهم أو جنسهم أو قدراتهم.

### ما الجوانب المستقبلية التي ينبغي على ألوان وأوتار أخذها في الاعتبار؟

هناك بعض المجالات التي ظهرت من عملية تقييم مشروع «شباب في العمل - YiA»<sup>٢</sup> التي يجب أن تركز عليها ألوان وأوتار وتأخذها بعين الاعتبار للمستقبل على ثلاثة مستويات: التنظيمية والمقارنة والبرامج. ونذكر هنا تلك المجالات التي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالمقارنة.

#### تقدم ألوان وأوتار نفسها مركزًا للخبرة والتجربة

لقد اكتسبت ألوان وأوتار عدة تجارب في السنوات الماضية على جهات مختلفة، ومع ذلك فإن الجمعية تنتشر بشكل ضئيل للغاية، مما يؤثر على قدرتها على الاستفادة من تجاربها ومواردها التراكمية. وبناءً على ذلك، يوصي الفريق الاستشاري ألوان وأوتار بإعادة هيكلة مجموعة خدماتها وخبراتها إلى مسارين رئيسيين:

- **مركز التجريب:** يركز الاختصاص المقترح لهذا التيار على: (١) عرض فلسفة ومقاربة ألوان وأوتار من خلال مساحاتها، و(٢) توفير تدريب عملي وتوجيه للمنظمات المماثلة، و(٣) تجريب أدوات/مقاربات/برامج جديدة. بشكل عام، سيكون من المفيد لفريق ألوان وأوتار أن يبدأ في النظر للأشكال المختلفة لإدارة المساحة؛ التي تتفاوت بين (١) الملكية والإدارة والتمويل، (٢) الإدارة المشتركة والتمويل المشترك، (٣) توفير الدعم الفني والخبرة في إدارة/إنشاء المساحات. وتوسيع وتكرار نموذج المساحة الخاصة بهم دون المشاركة في إدارة الأنشطة اليومية والحفاظ على استدامة المساحة ماليًا والتواصل مع أفراد المجتمع.

(٣) برجا مراجعة التقرير المعنون «تقييم نتائج وتوثيق مشروع شباب في العمل YiA»، أميرة عبد العزيز وعلياء أحمد، شركة مسارات جماعية، سبتمبر ٢٠٢١.

● **مركز الخبرة:** يركز الاختصاص المقترح لهذا التيار على: (١) توثيق ونشر ممارسة ألوان وأوتار، و(٢) تدريب وتخصيص الخدمات الاستشارية، و(٣) بحث واقتراح أدوات/ مقاربات/ برامج جديدة، و(٤) تطوير وبلورة ما يلي: (أ) فلسفة ومنهجية تربوية متعددة التخصصات تركز على تكامل البرامج، (ب) فيما يتعلق بالفنون: تطوير منهجية تدور حول «الفنون من أجل تنمية المجتمع» وتتضمن فلسفة ومنهجية وممارسات وأدوات، (ج) فيما يتعلق بالمساحة: حقيبة أدوات للمساحة الحرة، وحقيبة أدوات للمساحة المكانية، (د) فيما يتعلق بالبيئة: حقيبة أدوات منهجية البيئة الآمنة، (هـ) التوثيق: بنك الأنشطة، وحقائب حول الطفل/ الشباب.

يعتمد كلا المسارين بشكل كبير على الشراكات مع منظمات مرموقة ونشطة بالفعل ولديها اختصاص مماثل في خدمة المجتمعات والأطفال. يمثل هذا الأمر استراتيجية رئيسية لكي يتطور ويتبلور هذا الاتجاه.

### إعادة النظر في الإطار الشامل ليتوافق مع المقاربة المطورة حديثًا

عندما ركزت ألوان وأوتار على الأطفال باستخدام المقاربة الفنية بشكل رئيسي، وفر إطار المهارات الشامل إطارًا مرضيًا وشاملاً جدًا لتصميم وتتبع التدخلات ذات الصلة. إلا أنه من المتوقع أن يكون هذا الإطار غير كاف عند تصميم وقياس التدخلات الأكثر ارتباطًا بالمشاركة المجتمعية وبناء علاقات صحية بين أفراد المجتمع. لذا فهناك حاجة لإعادة النظر في النموذج وإضافة جوانب أخرى تتوافق مع «المقاربة المتكاملة للمجتمع»، لا سيما تلك المتعلقة بمهارات التوظيف لدى الشباب والتغييرات السلوكية وبناء العلاقات بين أفراد المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، ستحتاج ألوان وأوتار إلى العمل على إيجاد أنماط مخصصة للأطفال الذين تركوا المدرسة أو تأثروا بصدمات معينة.

### مزيد من الاهتمام بالصحة النفسية لأعضاء فريق ألوان وأوتار

يجب على فريق ألوان وأوتار اعتبار صحتهم النفسية قيمة أساسية من أجل المحافظة على جودة خدماتهم المقدمة لأفراد المجتمع المختلفين. وسوف يتطلب ذلك إجازات مخططة، وعدم تجاوز حجم عمل معين، وطلب الدعم عند التعامل مع العديد من ضحايا الإساءة أو الحالات الأخرى التي تحتاج إلى دعم شامل.

### استراتيجيات تنفيذ عملية

بشكل عام، هناك ٥ استراتيجيات تنفيذ رئيسية بالنسبة لألوان وأوتار من أجل المضي قدمًا؛ الرسملة: تقترح هذه الاستراتيجية الاستفادة من الموارد الموجودة في ألوان وأوتار؛ أي الكتيبات الفنية والأدلة التنظيمية ورأس المال الجمعي البشري. التجريب: تركز هذه الاستراتيجية على تجربة نماذج جديدة لإدارة المساحة، ومقاربات جديدة أو إضافات جديدة إلى المقاربة الحالية. الانتشار: تركز هذه الاستراتيجية على توسيع وتنويع القنوات التي تستخدمها ألوان وأوتار لنشر مواردها. الرقمنة: تقترح هذه الاستراتيجية الاستفادة من الأدوات الراسخة وتحويلها إلى نظام رقمي يمكن أن يخدم ألوان وأوتار في المستقبل، وكذلك المنظمات الأخرى التي تعمل في مجال تنمية الطفل. الظهور: تركز هذه الاستراتيجية على كيفية ترويج ألوان وأوتار لنفسها والتعريف بنفسها من خلال منصاتها الرئيسية؛ صفحة فيسبوك والموقع الإلكتروني.

**ختامًا،** يخلص الفريق الاستشاري إلى أن ألوان وأوتار قد تراكم لديها خبرة كبيرة في مجالات تمتد من كيفية اتخاذ القرار، إلى تنمية الأطفال وتصميم المناهج وإدارة المساحة والمشاركة المجتمعية، والتي يتعين استخدامها والاستفادة منها بدرجة أكبر باعتبار ذلك وسيلة رئيسية من أجل الاستدامة المؤسسية.





## المراجع

- Cho, C. and Vitale, J. (2019). Using the Arts to Develop a Pedagogy of Creativity, Innovation, and Risk-Taking (CIRT). *Journal for Learning through the Arts*, 15(1). DOI:10.21977/D915130132 -١
- Dowd A. J. and Thomsen B. S. (January, 2021). Learning Through Play: Increasing impact, Reducing inequality. The Lego Foundation. Retrieved from <https://www.legofoundation.com/en/learn-how/blog/learning-through-play-increasing-impact-reducing-inequality/> -٢
- Rowe, K. (2018). Childhood Development: How the Fine and Performing Arts Enhance Neurological, Social, and Academic Traits. Undergraduate Honors Theses. East Tennessee State University. Retrieved from <https://dc.etsu.edu/honors/464> -٣
- Sung, H. (2016). The Influence and Role of Arts on Community Well-being. Arizona State University. Retrieved from [https://repository.asu.edu/attachments/170292/content/Sung\\_asu\\_0010E\\_15684.pdf](https://repository.asu.edu/attachments/170292/content/Sung_asu_0010E_15684.pdf) -٤
- UNICEF. (n.d.). What is a child-friendly city? <https://childfriendlycities.org/what-is-a-child-friendly-city/> -٥

دراسة الحالة هذه من تأليف أميرة عبد العزيز

دراسة الحالة هذه منتج ثانوي لمهمة استشارية أكبر لتقييم وتوثيق مشروع «الشباب في العمل - YiA» الذي تنفذه جمعية ألوان وأوتار وتموله مؤسسة دروسوس. طبق الفريق الاستشاري مصادر البيانات الأولية، بما في ذلك المقابلات ومجموعات النقاش وورش العمل مع أعضاء فريق ألوان وأوتار ودروسوس، والأطفال والشباب والأمهات ومقدمي الخدمات والعملاء والشركاء. كما طبق مصادر البيانات الثانوية التي تضمنت تقارير المشروع، والوثائق ذات الصلة من ألوان وأوتار وكذلك الدراسات والأدبيات المرتبطة بالموضوع.



القاهرة، مصر

[www.collectiveroutes.org](http://www.collectiveroutes.org)

[info@collectiveroutes.org](mailto:info@collectiveroutes.org)

---